

1

المبحث الأول
بنو عبد شمس قبل الإسلام

أولاً: الحياة الاجتماعية لبني عبد شمس:

1- بنو عبد شمس (النسب والزعامة):

لقد اهتم العرب بالنسب اهتماماً كبيراً منذ عصر ما قبل الإسلام، واستمر هذا الاهتمام حتى مجيء الإسلام⁽¹⁾.

أن هذه الدراسة التي نحن بصدد الخوض بها تتعلق بعشيرة من العشائر المكية، وهي (عشيرة بني عبد شمس) في إطار القبيلة الأم قريش، فهم ينتسبون إلى قصي بن كلاب بن مرة بن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة⁽²⁾، الذي هو الجد الأعلى لهم، وقد استطاع من أن يبسط نفوذه وسيادته على مكة، ولاسيما بعد أن تغلب على قبيلة خزاعة، أخرج القبائل اليمينية المهاجرة التي كانت قد سيطرت على مكة⁽³⁾. كما قام قصي بجمع القريشيون، واسكنهم في مكة، بعد ما كانوا متفرقين في الشعاب ورؤوس الجبال، ولذا فإنه سمي مجعاً⁽⁴⁾. وقد كان لقصي أربعة من الذكور هم: عبد الدار، عبد مناف، عبد العزى، عبد قصي⁽⁵⁾، وابنتان هما: برة⁽⁶⁾، وتخمر⁽⁷⁾.

وسينصب اهتمامنا في هذه الدراسة على ابنه (عبد مناف) لأنه والد (عبد شمس) الذي هو محور دراستنا، لأن (عبد شمس) يعتبر الجد الأعلى للأُمويين بضم الهمزة لا بفتحها. (فعبد مناف بن قصي) كان اسمه المغيرة⁽⁸⁾، وكانت كنيته (أبا عبد شمس)⁽⁹⁾. ولقبه قمر البطحاء لجماله⁽¹⁰⁾، وقد شبه (عبد مناف هو وبنوه بالجوهرة)⁽¹¹⁾، كما كان قد بلغ من المكانة والرفعة والسؤدد في مكة ما لم يبلغه احد من إخوته⁽¹²⁾.

ولا يفوتنا أن نذكر أن المؤرخين والرواة اعتنوا واهتموا بأخباره وأخبار آله، وذلك بسبب ما كان من صلته وقربته بالرسول (ﷺ). وقد كانت ولادته في حدود (430م)⁽¹³⁾، كما كان قد اصهر إلى عدد من القبائل العربية، فتزوج من (بني سليم بن منصور)، (عاتكة بنت مرة بن هلال بن فالح)⁽¹⁴⁾، وقد كان أبوها حليفاً له⁽¹⁵⁾، فأنجبت له ثلاثة من الذكور هم: عبد شمس، وهاشم، والمطلب⁽¹⁶⁾، وخمساً من الاناث هن: تماضر، وقلابة، وحية، وأم الاخشم (هالة)، وأم سفيان، وتزوج من (بني مازن بن صعصعة) ابنتهم (واقدة)، والتي أنجبت له ولده (نوفل)⁽¹⁷⁾، ثم تزوج (امراتين من بني ثقيف)، احدهما: هي: (هند بنت كعب بن سعد بن عوف)، والتي انجبت له ابنته (ريطة)⁽¹⁸⁾، والثانية اسمها (ريطة) أيضاً، والتي أنجبت له ولده (أبا عمرو)⁽¹⁹⁾.

والذي إنه انقرض ذكره، لأنه لا عقب له(20)، وقد اصهر عدداً من القبائل إلى عبد مناف، بزواج بناته، أو عن طريق اصهار ابنائه إلى عدد من القبائل أيضاً.

يكون سبب ذلك، أن الزواج كأن وما زال سنة من سنن الحياة والكون سواء أكان ذلك قبل الإسلام أو بعده، يراد به تكوين الاسر، وادامة النسل وتكثيره، اضافة إلى ما يحققه من تكوين العلاقات، وتوثيق عرى الروابط الاجتماعية في المجتمعات، وربما انعكس ذلك فيما بعد على الواقع السياسي، لذا لا يستبعد أن يكون (عبد مناف) قد اراد بهذه المصاهرات توثيق العلاقات بينه وبين القبائل، أو بينه وبين إخوته، كما قد حصل بتزويجه احدى بناته لابن اخيه عبد الدار بن قصي، وقد يأتي توثيق هذه العلاقات عن طريق الاحلاف(21). وقد ظهر بعد وفاة (عبد مناف) عدداً من البطون القرشية التي كأن لها دور فاعل في الاحداث اللاحقة ومنها (بنو عبد شمس)، وبنو هاشم، وبنو نوفل، وبنو أسد، وتيم، ومخزوم، وغيرهم، حتى وصلت إلى حوالي خمسة وعشرين بطناً(22).

أن (عبد شمس) وهو الجد الاعلى للبيت الأموي بفرعيه السفيفاني والمرواني، كأن من اكبر بني عبد مناف(23)، كما كأن والده (عبد مناف) يكنى به، فلذا كأن يقال له (أبو عبد شمس)(24)، أما (عبد شمس)، فقد كأن يكنى بأكبر اولاده، وهو حبيب، ولذا كأن يقال له (أبو حبيب)(25)، واسمه اسم قديم معروف عند العرب، فهو اما نسبة إلى عين ماء كانت معروفة عندهم، أو نسبة إلى صنم، ويقال: أن أول من تسمى به هو (سبأ بن يشجب)(26).

مارس (عبد شمس) التجارة مع اخوته الثلاثة هاشم، والمطلب، ونوفل(27)، كما قام بحفر عدد من الآبار في مكة كبئر الطوى التي كانت في اعلى مكة(28)، وبئر خم ورم، وكأن يفتخر بحفره لهذه الآبار(29). وذلك لأن مثل هذه الاعمال تجلب للانسان المجد والرفعة والسؤدد، ولاسيما في ذلك الزمن الذي كانوا يعتمدون فيه على الآبار، ولأن موارد المياه تعد لدى السكان سر الحياة واكسيراها، وهي سر تجمعهم أو تفرقهم(30).

وبعد وفاة (قصي بن كلاب) تنازع (بنو عبد مناف)، مع بني عمهم (عبد الدار) مطالبين بأن تكون لهم حصة أو نصيب مما جعله لابنه (عبد الدار) من المناصب المكية(31)، وادى ذلك إلى انقسام قريش بين بني عبد مناف، وبني عبد الدار، وقد كأن (عبد شمس) على رأس بني عبد مناف(32)، وقد نتج عن هذا النزاع اقامة (حلف المطيبين)، (وحلف لعقة الدم)، وبعد أن تأهب الفريقان، واستعدا للنزاع، تم حل هذا الخلاف بسلام عن طريق تبادل السفراء بين الطرفين(33)، وكأن عبد شمس صاحب امر بني عبد مناف(34)، فمن المحتمل كأن له دور بارز وملموس في تسوية ذلك النزاع بشكل ارضى جميع الاطراف.

ولم نر اية منافسة حصلت بين (عبد شمس وأخيه هاشم) على رئاسة (بني عبد مناف)، فمن المحتمل إنهما كانا على اتفاق في هذا المجال. كما يظهر لنا أن قريش كانت قانعة وراضية برئاسة (بني عبد مناف) - بنو عبد شمس وبنو هاشم - وذلك لما كان لبني عبد مناف من مكانة خاصة لا ينافسهم أو يناهضهم عليها احد، لما كان لهم من العدد والشرف(35)، اصف إلى ذلك إنهم اولاد قصي ذلك الرجل الذي كانت قريش ترى أن اوامره "كالدين المتبع" كأن يجب أن تسمع، وأن تطاع سواء اكان ذلك في حياته أو بعد وفاته(36).

وبعد انتهاء النزاع بين بني عبد الدار، وبني عبد مناف ألت وظيفة السقاية والرفادة إلى هاشم بن عبد مناف(37)، ومن المحتمل القول مرة اخرى أن يكون هناك اتفاق بين (عبد شمس وأخيه هاشم) على اقتسام ما في ايديهم من الوظائف المكية، ولذا فإن (عبد شمس) لم ينافس اخاه على وظيفتي السقاية والرفادة، وذلك لأن (عبد شمس) كان "كأن رجلاً سفاراً قلما يقيم بمكة، وكان مقلداً ذا ولد، وكان هاشم موسواً"(38)، وكان (عبد شمس) كاخوته الثلاثة قد اشتغل بالتجارة، واستطاع أن يأخذ عهد امان للتجار من (النجاشي الاكبر) للتجارة مع الحبشة(39)، وعلى ضوء ما سبق يتبين لنا أن (عبد شمس) كان ذا شخصية لها القدرة والبراعة التجارية على اقامات علاقات تجارية من هذا النوع وعلى هذا المستوى، وكثرة رحلاته وأسفاره التجارية(40)، تؤكد لنا النشاط التجاري الواسع الذي كان يقوم به(41)، وقد توفي في مكة، ودفن في أجياد(42). وبناءً على ما توفر لدينا من معلومات فإن عمره عند وفاته كان قد جاوز الرابعة والستين من العمر(43).

2- أفراد العشيرة:

أن الجد الاعلى لهذه العشيرة هو (عبد شمس) وهو الجد الاعلى للامويين بضم الهمزة لا بفتحها، بفرعيهم (السفياني والرواني). وقد كان له عدد من الاولاد والاحفاد، لذا لا بد لنا من معرفتهم حتى نستطيع أن نتعرف على عدد وحجم هذه العشيرة، وذلك من خلال افرادها، ونستطيع أن نرى مدى تأثيرها، وتأثرها بالحياة المكية آنذاك(44).

عبد شمس:

تزوج (عبد شمس) خمساً من النساء، ورزق بثمانية بنين وأربع بنات، فكانت أم حبيب وهو ولده الكبير الذي كان يكنى به، وأم أمية الاكبر، وأميمة هي (نعجة بنت عبيد بن رواس بن كلاب بن ربيعة بن عامر) من بني صعصعة، أما أم أمية الاصغر، وعبد أمية، ونوفل، وأمه، فهي (عبلة

بنت عبيد بن عاذل بن قيس بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة) من بني تميم(45)، وكان يقال لهؤلاء من بني عبد شمس (العبلات)(46)، نسبة إلى أمهم (عبله)، وقد أصهر عبد شمس إلى بني الازد، فتزوج ابنتهم (عمرة بنت الدؤل بن زيد مناة بن عمرو بن عامر بن كعب)، فأنجبت له ولده عبد العزى، وابنته رقية، كما أصهر أيضاً إلى بني خزيمة بزواجه من (أمينة بنت وهب بن عمير بن أسامة بن نصر بن قعين بن الحارث بن ثعلبة بن دودان بن أسد)، فأنجبت له ولده ربيعة، وابنته سبيعة، كما تزوج أيضاً (إمامة بنت الجودي) من كندة، فأنجبت له ولده عبد الله، الذي لقب (بالعرج)(47).

من خلال ما ورد نرى أن اصهار (عبد شمس) إلى عدة قبائل، واتخاذة عدة زوجات كانت مسألة طبيعية في مجتمعهم أملت على ظروف الحياة ومتطلباتها، وكانوا يتطلعون من تعدد الزوجات إلى تحقيق الأمور الآتية:

- 1- توثيق العلاقات الاجتماعية بما يخدم جوانب الحياة الأخرى السياسية والاقتصادية.
- 2- الانجاب الذي يراد منه، زيادة أفراد العشيرة، فكلما كان عدد أفراد العشيرة كبيراً استطاعت العشيرة أن تحقق مطامحها في جوانب الحياة السياسية والاقتصادية وغيرها، وهذا الشيء ينطبق على (بني عبد شمس) الذين كانوا قبيل الإسلام المسيطرين تقريباً على أمور مكة التجارية والسياسية(48).

أولاد عبد شمس وأحفاده:

كان حبيب أكبر اولاد عبد شمس(49)، وكان عبد شمس يكنى به(50)، ووالدته من بني صعصعة، وهي (نعجة بنت عبيد)(51)، وقد تزوج حبيب امرأتين، أحدهما من بني فهر، وكانت أم ولده (ربيعة)(52)، وكانت الثانية سوداء(53)، حبشية الأصل(54)، اسمها زبيبة(55)، أنجبت له ولده (سمرة)(56)، وكان (لسمرة) أخ من أمه يكنى (بأبي جمعة)، وهو جد الشاعر كثير بن عبد الرحمن(57). ومن المحتمل أن هذا الزواج كان نتيجة العلاقة التجارية التي ربطت مكة ببلاد الحبشة(58).

أما ولدا حبيب وهما (ربيعة وسمرة)، فإن ربيعة قد تزوج من بني خزاعة وهي (أم سكن بنت ظالم بن منقذ بن سبيع بن جعثمة بن سعد بن مليح) فأنجبت له ولده الوحيد (كريز)، الذي تزوج ثلاث مرات، ورزق بثلاثة من الذكور، وثلاث من الإناث(59)، كما تزوج (سمرة) مرتين، وكانت إحدى زوجاته من بني مرة وهي (ريطة بنت عثمان بن عمر بن كعب بن سعد)، وقد أنجبت له عمراً وكريزاً(60)، وكانت الثانية من بني كنانة(61)، وهي (أروى ابنة أبي الفرعة)(62)، والفرعة هو

(الحارثة بن قيس بن أعيان بن مالك بن علقمة بن جذل الطعان) وقد انجبت له ولده (عبد الرحمن) (63).

ثانياً: بنو أمية الأكبر:

كأن اسم (أمية) متداولاً ومعروفاً عند العرب، ولاسيما عند قبائل العرب في شمالي الجزيرة وجنوبها، واليه ينسب (الأمويون) بضم الهمزة لا بفتحها، وقد ذهب بعض المؤرخين مذهباً بعيداً جداً، وهو أن (أمية) شخصية اسطورية وليست حقيقية (64)، بيد أن أرباب هذا الرأي لم يقدموا الأدلة على أن (أمية) شخصية اسطورية، فضلاً عن هذا فإننا لم نجد في الروايات ما يشير إلى أن (أمية) شخصية اسطورية، أو إنه من اختراع قوم جاؤوا بعده. وفي الوقت نفسه فإن هناك حقيقة تؤكد للكل أن شخصيته حقيقية هي أبوته لبني أمية. وهم أكبر عشائر قريش في مكة (65).

كأن (أمية) من اشراف مكة وساداتها، وقد كأن ضمن الوفد الذي بعثته قريش إلى (سيف بن ذي يزن) لتنهئته بانتصاره على الاحباش، وقد ضم الوفد عدد من الشخصيات المعروفة في مكة إلى جانب شخصية (أمية)، وهم: عبد المطلب بن هاشم، وأسد بن عبد العزى، وعبد الله بن جدعان (66).

وقد سار (أمية) على نهج أبيه (عبد شمس) في حفره الآبار، فهو الذي قام بحفر بئر (الحفر) في مكة قبل احتفار بئر زمزم فيها (67)، وبقدر ما يتعلق الأمر (ببني عبد شمس) فقد تعاقب الابن بعد أبيه ثم الحفيد على القيادة، فقد كأن (عبد شمس) يقوم بمهمة قيادة الجيش في الحرب، ثم آلت القيادة من بعده إلى ابنه (أمية)، ثم انتقلت إلى حفيده (حرب)، ومنه انتقلت إلى ابنه (أبي سفيان) (68). وقد أصهر (أمية) إلى عدد من القبائل، انجب منها احد عشر ذكراً، وثلاث اناث، ولهذا عد (بني أمية) كما اسلفنا من أكبر عشائر قريش في مكة، فقد أصهر إلى بني بكر بن هوازن، بزواجه من (أمينة بنت أبان بن كليب بن ربيعة) (69)، والتي انجبت له العاص، وأبا العاص، والعيص، وأبا العيص، والمعويص (70)، الذين كانوا يعرفون أو يلقبون (بالاعياص) (71)، كما انجبت له ثلاثاً من الاناث وهن: صفية، وأروى، وبونة (72). كما أصهر إلى بني فهر بزواجه من (أمه بنت أبي مهمة بن عبد العزى)، فانجبت له حرباً، وأبا حرب، وسفيان، وأبو سفيان، وعمرواً الذين كانوا يعرفون أو يلقبون (بالعنابس) (73)، ويبدو أن سبب هذه التسمية جاءت من الشجاعة التي أبدوها في (حروب الفجار)، وكان قائدهم فيها أخاهم